حرسهما من الصيادين عبر الغابة باتجاه مكان يسمى ڤولوك لامسكي ، ولكن إصبع الموت لمست ڤاسيلي فجأة أثناء الطريق .

كان يتألم وهو يمتطي جواده ، واكتشفوا أنه يعاني في ثنية فخذه من ورم متقيح ذي لون بنفسجي . ولم يستطع أن يبلغ بيت إيڤان پودز هوجين إلا بعد لأي ، وكان إيڤان هذا أحد رجال حاشيته المفضلين وقد دعاه الى وليمة في بيته . وعند وصوله ساعدوه على أن يأخذ حماماً ساخناً لم يخفف عنه شيئاً من آلامه لدرجة أنه لم يتمكن من الانضمام الى مضيفيه وإنما قدم له الطعام في غرفته . واستمر به الألم . وفي اليوم التالي الذي كان يوماً جميلاً وصالحاً للصيد قاوم الألم لأنه كان لا يزال يتذوق بحرارة لذة الحياة . فأرسل في طلب أخيه أندري . وفي اليوم الذي يليه خرج معه من قرية كولب مع كلابه ولكنه كان ضعيفاً وانتابه ألم شديد أجبره على العودة الى سرادق الصيد في كولب حيث لزم الفراش .

عند ذلك استدعت هيلانة عمها ميشيل غلينسكي وطبيبين أجنبيين كانا يمارسان مهنتهما في البلاط الروسي . ووضع الطبيبان على مكان الألم كمادات من العسل الطازج والدقيق والبصل المشوي حتى نضج الدمّل وخرج منه الكثير من الصديد ونقل الدوق الكبير من كولب الى ڤولوك لامسكي على يد نبلائه على محفة وهناك تابع الطبيبان عملهما في وضع الكمادات حيث خرج من الدمل صديد جديد . وأمرا بأن يقدم له ملين مصنوع من البذور لم يكن من نتائجه إلا أنه زاده ضعفاً على ضعف . وازداد الألم زيادة كبيرة وامتد حتى أصبح الآن يشكو من صدره وأصبح تنفسه صعباً وينتابه الكثير من الأوجاع .

وفي هذه الحالة أرسل ڤاسيلي الى موسكو مانسوريف رجل القانون والكاهن پوتياتين ليأتيا له منها سراً بوثيقتين إحداهما وصيته التي يعود تاريخها الى بضع سنوات خلت والثانية وصية أبيه إيڤان الثالث . وعند إحضارهما قرئتا له بصوت عال وبحضوره هو وحده ثم